محي الدين فارس

أفريقيا لنا



دار عزة للنشر والتوزيع



أفريقيا لنا

د. محي الدين فارس



دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان

الـكـتـاب : أفريقيا لنا

المؤلـف : د/ محي الدين فارس

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٦٢٦٢ رقم القيد ٣٨٨/٢٠٠٤

تاريخ النشر : ٢٠٠٥

ردمـك : ٥-٠٠٠٠-٥٤-٩٩٩٤٢

الـنـاشـر دار عـزة للـنـشـر والـتـوزيـع

الإدارة : شارع الجامعة – الخرطوم – جنوب وزارة الصحة .

ت : ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ – ٢٤٩ +)

الـتـوزيـع : دارعزة للنشر والتوزيع ت : ٨٣٧٨٧٢٠١

السودان – الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩

بريد إلكترونى azza ph @ yahoo.com

تسابيحُ عـاشِق

ظلّي عَلى ظلّي رقيبُ وفَمِي على كَلِمي حَسيبُ

دمي يحدق في دمي ويريبنى مالا يريبُ

خفّتْ موَازينى وما ثقُلتُ وأدْركنى المَشْيبُ

والذّبذبانُ بداخلي يقظانُ منْ حَولِي يجوُبُ

يومُى فأرنُو حَيْثما يَومى ويلفحنى اللّهيبُ

ومَشيُتُ في كلِّ الدُّروب فتُرعشُ الخطو الدروبُ

والريحُ تمْضُغُ وَجْه راحِلتى فيلْطُمهَا الكثيبُ

سقَطتْ فأعْياهَا النُّهوضُ وراشها السَهمُ المصيبُ

وعلى محطات الدُّجى أرنُو وقدْ دَلَفَ المغيبُ

غفرانَك اللّهم كم ذا أثقلت خَطوى الذُنوبُ

إنِى على أعْتاب بابكَ لا يفارقُنِى الوَجيبُ

اتردنى ربى؟ وأنت لكل مضطر مجُيبُ

ولِمَنْ أتوبُ وأنتَ غفَّارُ الذنُوب لمن أتوبُ؟

هيّأتُ للابْحارِ مَركبتى فمركبتى تلُوبُ

وخَلَعْتُ أرْدِيَةَ التُّراب فَهُنّ سرْدابُ رهيبُ

وتركتُ كُلّ حَدَائق الدنيا فمُورقُها جديبُ

وخرجْتُ من طينيَّتى ولكلّ طافيةٍ رُسُوبُ

ويُشدُّنى لدَواخِلى صوْتٌ الهىٌ حَبيبُ

صوْتٌ يقُولُ لنا قفُوا صوت يقول لنا أجيبُوا

هل يستوى البحران ذا عذبٌ وذا ملحٌ يذوبُ

ماذا ادخرتم للرحيل إذا أتى اليومُ العصيبُ

سبُحان منَ يُحيى العظام غداً فتنكشفُ الغيوبُ

يوم الموازين الكبيرة حيثُ لا ظلمٌ يحوبُ

وسبحتُ في الملكوت والملكوتُ منفسحُ رهيبُ

أصغى لأنغام الوجود وما بها نغمٌ رتيبُ

أصغى فكلٌّ خليةٍ في الكون ايقاعٌ عجيبُ

معزوفةُ الخلاق سبحان البَديعُ له أنيبُ

ترنوُ العيونُ وإنما تعمىَ بداخلنا القلوبُ

يا ايها الإنسانُ إنَّك في مناكبها غريبُ

ضيَّعتَ عمرَك في السرابِ وغرَّك البرقُ الخلوبُ

هي فترةٌ في فندقِ الدنيا ويعقبُها المغيبُ

فسدتْ قلوب الغافلين فليلهُم أبدا ذنوبُ

وصفتْ قلوبُ الخاشعينَ فليلهم ذكرٌ وطيبُ

الساجدونَ الراكعون زمانُهم زمنٌ خصيبُ

العابدونَ بلا ضجيجٍ والبكاةُ ولا نحيبُ

لهيبُ المعركة

لابُدَّ من يومٍ تخرُّ به الطواغيتُ المسنَّةْ

لابُدَّ من يومٍ تضجُ بِه الرياحُ المرجحنَّةْ

فلكلِّ مذبحةٍ بجنحِ الليلِ مذبحةُ مرنَّةْ

تلغُو المدافعُ للمدافعِ والأسنةُ للأسنَّةْ

إن الطريق مخضبُ بدمِ الصباحات المعنَّةْ

ما دام بيتُك في لهيبِ النارِ مشتعلُ الأكنَّةْ

فاركبْ رياحَكَ في صدور الليلِ مطلقة الأعنَّة

واضربْ فللجُدُرِ السميكة أنَّةُ من بعد أنَّةْ

لنموتَ كي تحيا ذرارينا وتنتهجُ الأجنَّةْ

لنظلَّ مرفوعي البنودِ على القباب المطمئنَّةْ

الجَـوَادُ والرِّيـح ..!!

مُهَشَّمَةَ كَانَت الذاكرة

وبيت المشيمة عنْدَ المخاضِ غَدَا مَقْبَرة

وَقَابِلَة الليلِ قَدْ حَاصَرَتْهَا

يَدُ الرَّيح في الظلمةِ المُطرة

وَحَدُثتُ عَرافَة الغَابِ

أيْنَ طقوس الولادة

بابٌ المذابح ماضمخته دماءُ الكباش الجميلة

أين بساط الولائم

وانطفأت أعْيُنُ الجُمرَة

عَلَى عَتبَاتِ المَدِينة..

طنَّ السُكونُ .. وَفاحَ كلامُ الظلامِ

العُصُورُ الجَديدة تُولَدُ

تَبْرحُ بَوابَةَ الدَّيْرِ عَرافةُ الغاب

تَنْزِلُ مِنْ جَبَل الصَّمْتِ

لتشعلَ في الليل كُلّ القَناديلِ

تفرشَ بالضَّوْءِ كُل العشَايَا

يقُومُ الضّحَايَا

ملابسُهم أرجُوانٌ .. وأعْيُنهمّ تَتحدّى الرزايا

تقُولُ النبّوءةُ ..

يأتى عَلى فَرسَ أدْهَمٍ

يسْبِقُ الضَّوءَ

يخترِقُ الريحَ

يَذْرعُ الليْلَ

يفْتَحُ بَوابَة العَصْرِ

ينْسِجُ وَجْهَ الهُويَةِ

ينزع جِلدَ المرابينَ

يَكْنسُ قشْرَ الكلامِ يُغَنّى

تُصَادِرهُ الشّمسُ

ثُمّ يُصادِرُ هَوْدجَها الذّهبّى

وَيَجْدلُ مِنْ شَعْرِهَا مقصَلَه

ويَفْتحُ أبْوابنَا المقْفَلة

***

لمحتكَ في زَبَد النَّار يَاقُوتة

رَضَعَتُ مِنْ حَليب الشَّمُوسِ

ارتوت مِنْ رِحَيق الحَضَارَات

وأتكأت في جبينِ الزَّمان

اللصّوُصُ اختفَوا تَحْتَ شُباكِها

ثُم مَدَوا على عجلٍ

سُلمات الصَّعُودِ

فجرّدْ حُسامَك

كُل الحِوارات لأطروحة لمْ تتَمّ

وَسَفْسَطة مَا تزال

وكُل الطواغيتِ مَشغُولة بالطواغيتِ

واللابسون رداَء الكهَاناتِ

كاليومِ .. فوق طلولِ الزمَنُ.

وقد جنَحَتْ في البِحَارِ السفُنْ

***

دعَينِي

فللبحرِ رَائحة مُنعشَة

وقَدَ حَمحمَتِ سُفُنى للرَّحيلِ

وَصفقَتِ الرِّيحُ في الاشرِعَه

فهذى المدينَةُ تأكُلُ أبْناءهَا

ثُمَّ تنسلُّ.

تَقْبَعُ في الظلمةِ الموحِشَة

أريحـــا..!!

وطنٌ .. دون وطن

بَعْضُنا فيه .. وبَعْضُ لَمْ يجِدْ حتى الكَفَنْ

حِينما يرتُجِلُ الموتُ الضَّحايا

وَالطَّواحينُ تئنُّ

يا إلَهى .. أعطنا كُلَّ الوطَنْ

كَيفَ تَرْضَى بَعْدَ هَذَا الجُرح

.. بَعْضاً مِنْ وَطَنْ؟!

يا إلهي .. أعْطِنا بَعُضَ زَمَنْ

كَيْ نعيد الذّكرْيَات السّودَ

.. ببكى أهْلَنا المَاضِينَ

مِنْ غير طُقُوسِ

وجَنَازات حَزَنْ

يا إلهي .. أعْطِنا بَعُضَ زَمَنْ

نَنْقُش القَبْرَ الذى كان ارتِجالاً..

في فُجَاءَات المِحنُ ..!

زَهْرةٌ .. مَهْمُومةٌ أَلْقتْ على السَّور يديْها

خطفُوا من وجهها اللون..

ومن أكمامها العِطرَ وولَّى السارِقُونْ

لا تُموتى..

شكِّلِى نفْسَكِ .. عُودِى مِنْ جَدِيدٍ سُنُبله

واخرُجِى مِنْ حدقات المِقْصلَهْ

بَلَدٌ .. يَخْرُجْ مِنْ صُلْب بَلد

وبحارٌ لم تزَلْ فيها ارتعاشَاتُ الزَّبدْ

تَحْتَ جِذْع الشجر المنسى قَدْ نَامَ أبِى

وبَكفُيه وصايَا .. وتَرابٌ مِنْ وَطَنْ

بَيْنما كانَ هُنا يَعْزقُ حَقْلَهْ

ضَاعَ مِنَّا ..

بين الأرْض مِنْ كفِّ المطرْ

حَفظَتْهُ هتيكَ الشَّواهدْ

ظِلُّه الواقِفُ .. مَا زَالَ مُطَارَدْ ..!!

مَا الذي أجبرنَا أن نعُبرَ الممَّشى

على ذاك السِّراطْ؟

كقِطيع راحَ يمشى بالسَياطْ

نَضَجَتْ كرمْتُنا .. دَلَّتْ عناقَيد الفَرَحْ

ما الذي يَجْعَلُنا نَمْضى .. بلا قَوْس قُزُحْ؟

لَم أزَلْ ألْمَحُ في الدّار أبِي .. جُمَّ العَطَايا

يملأ اللَّيْلَ حُداءً .. وحكَايَا

ويغنى حاملاً عُوداً .. ونَايَا:

احْفَظُوا .. تلكَ الوَصَايَا

حَجَرٌ يَفتُح في النَّار .. شَبَابيكَ المَرَايَا

***

نَحْنُ شئِنَا أم بِلادُ العَمّ سَامْ

لِنُغنِّى مثْلما شَاءَ لَنَا الحَاخَامْ

في دُنيا الزِّحَامْ

أكل اللّيْلُ الخِيام

ثُم قالوال لاريحا .. لا كَلاْم

وقّعى والسَّيْفُ مُصلَتْ

وبعينَيْها انْهِيَارُ وتَلَفّتْ

اكَذَا .. قلبَ الحَجَر ..؟

ذلك القَاهِرُ وجْهَ الخَوف في لْيل الخطَر

ذلك القادرُ أن يُلْجم شِدْقَ الرِّيح في كُلّ مَمَرّ!!

***

قُتْبلَه!

سَقَطتْ دُونِ تَفَاصِيل

تَهدُّ المقْصلَهْ

ما الذي أطفأ .. تلك النّارَ .. يا لَلْمهزلَةَ؟!

حَاصرَتَهُم ثورةُ البَحْر ..

تَوَاروْا في خُضُوع .. صفقَةّ أوَلى

تَليَها .. صَفقَاتُ مُقْبلَه

ذاك .. سِرُّ المَرْحَلةَ

***

لَيْسَت الأشْياءُ .. أشْيَاءً

فَهذَا شَجَر البُلوطِ أقْعَى

.. ثُمَّ قَالُ

تلك يا ربَ "أريحا"؟

لُم تُعدُ تضفرْ شعْر الشمْس

لُم تُسُدلْ على الكتُفيْن

شالاً سُندسيًا ..

ومريحا

لْم يُعدْ نَبضُك يسْرى في شرايين الحجاره

يا خَسَارَة !!

***

هذهِ اللّيلةْ

لمْ تجلسْ لدَى المُوقْد كُلّ العَائلةْ

قتلوُا الرّاوى

فمَا طَعْمُ الحكايات ..؟

أبِي كَانَ يُجيدُ القصّ في تلكَ اللّيالى

.. الحافله

مُنْذ ذاك الحين..

طلّقنا اللّيالى الحافله

إنْ لحناه بكيُنا

وتتبعنا وَصايَاهْ

احْرسُوا كُلّ تراب الأرض

مُوتُوا دُونَه

جيلاً .. فجيلا

احْذروا .. أن تُصبْح الأرْضُ لكمُ

بيتاً ذليلاً

***

ما الذي بيْن يَديْنا .. قَد تَبقّى

فرّقتْ بيْت أبي الدُّنيا

فُلُولا .. راحلة

كيف نأتِي دُون أنْ تأتِي

جميع العائله؟!

حدّقتْ فينا عصافير الكروم الذابله

دارنا .. في الريح

ذراتُ رماد ..؟ راحله

إننا نُخرجُ منْها ببطاقه

ثم نأتي! ببطاقه ..

ثم نبكي ببطاقة ..

وإذا متنا .. فَللمَوت بطاقه ..!!

حَمَل اللّص البَراءَتِ .. وَعرّى الجُرحَ

لَمْ يْبَق .. سوِى بَعْض لحَاءِ .. يا أريحَا

صَادَرُوا منْك .. كَلامَ البُنْدقيه

وأناشيدَ اللُّغاتِ الحَجريِّه

ميِّتْ وَجْهَ الصبَّاحَاتِ .. فَلاَ يعُكسُ

إلاَّ بَعْض وجْه..

قَدْ غدَا .. رَمْلاً .. ورَيحا

مَا الذِى أجْبَرنَا أنْ تُدخِلَ النَّاقّة في سمِّ الخَياط؟

تأمـــلات

قدْ سألتُ النَّمالَ مالك تشْقينَ

وَتَبْنينَ في الجبَالِ .. بُيُوتا

وتشْقينَ في الصخورِ دُرّوباً

تَتلوّى ...

.. وتَعْشَقِين السكُوتَا

وتظلين في عَوالمِك الخُرْسِ

أَئِينَاً..!!

مُجرحاَ مَكْبُوتَا

أتخافين أنْتِ

مثْل بنِي الإنسانِ يَوْمَاً

ظلامُهُ لنْ يَفوتَا

فأجابَتْ:

إنا نخاف .. اللّيالى

شبَّكَتْ .. حَوْلَ بابنَا عنْكَبُوتَا

شعبي العملاق

تكممك الدَّنيَا .. فَلا تُطلقُ الفمَا

فَقَدْ أصبحتْ قيْداً .. وسجناً .. ومأتَما

تَأمَلْ .. تَجد نيلا بكيًّا .. وأوُجَها

حَزَانى .. ودَمْعَاَ في المحاجر مُلجمَا

ويَا شعْبي العَملاقُ .. مَالَكَ صَامتاً

أما ضقت بالدنيا لظى بل جهنما؟

أمَا ضقْتَ بالسجَّانِ .. والقيد والدُّجى

وَبالسَّوْط رَعَّافاَ .. وبالذل مُرْغَما

وكمْ خبرتْكَ الحادثاتُ فأجْفَلتْ

وَخلَّتْ لكَ الدَّرب الذّى مَا تُقحّما

وهدَّمتَ سُوراً .. ألفَ سُورٍ مُطلسَمٍ

يُحملقُ في عيُنيْكَ .. غُولاً .. وقَشْعَماً

وَما كنت في ركب الشعوب وراءها

إذا هدرت بل كنت فيها المقدما

لك المجد كل المجد عزاً ومنعة

فما زلت في دنيا الكفاح المعلما

وما صغت المطاغوت يوماً ملاحما

وما كنت للسطان ناباً .. وأنغما

القناديل المطفأة ..!!

حَديقَتُنا جعَّدتْ وَجْهَهَا ..

وَسِياجُ البَنَفْسَج شَاخَتْ عنَاقيدُهْ

ثُمَّ أَلْقَتْ علَ الأرض تيجَانَها ..

واليَنابيعُ غَاصتْ

وأشجَارُنا .. لَقَّحتْها الريحُ الكوَاذِبْ

وَالطِّينُ حِينَ اقْتحمتُ بَسَاتِينهُ

حَمْلقَ الصَّمتُ في مُقْلتيَّا

وَوَجْهُ النهَّارِ تسرَّبَ مِنْ رَاحَتيَّا

تَلقَّتُ .. لاَ شَيءَ غَيرَ الدَّهَاليز ..

وَالجائعينَ .. يَلُوكُونَ وَجْهَ المَوَانى

وَبَيْتُ العَصَافِيرِ طَنَّ به الصمْتْ

وَالليَلْ كَالاضْرِحَه

وَكفَّتْ عن الرقّص زُرقُ العَصَافير

خلَّتْ أرجيحها المفرحة

حديقُتنا جعدتْ وجْهها

وتَهاوتْ عناقيدُها قَبْل بدْء الظّل

تراتيل صـوفية

وَقَفْتُ على شَطّ المَغَارب بَاكياً

سَرَابَ زَمَانٍ .. مَاروَىَ غُلّةَ الصَّدى

فَقَدْ أطفاتْ .. ريحُ الرَّزايا وجفَّفتْ

زُيُوتَ قَناديلى .. ومصْباحَ مَعْبدِى

تَلَفَّتُّ .. لاَ طِلٌّ يَمُدُّ رْواقَهُ

سِوَى شَجَر .. ذَاوى الذوائاب مُجْهَدِ

وأعْجَبُ مِنْ صَمْتِ اللَّيَالى وَوَحْشتى

فَقَدْ غَابَ سُمَّارى وأطْرَقَ مُنْشِدِى

أنُوحُ .. بلاَ دَمْع وأضْحَكُ باكياً

وأحْيا .. بلاآتِ .. يَلُوحُ .. وَلاَغدِ

صَحَوْتُ عَلَى قَرْع النواقيس بَعْدَمَا

أضَعْتُ مَوَاقيتَ التَّراتِيل مِنْ يَدى

***

حَنَانَكَ يَا رَبَّاهُ .. إنِّى عاشقٌ

وبابُكَ ياَ غَفَّارُلى .. غيْر مُوصَدِ

خَلَعْتُ رِدَاءَ الطِّينِ هَيْمانَ ظامئاَ

إلى النَّبعْ .. أسْقى الّروح .. أعذْب موْرد

ففِي عَالَمى الأرواح شمسُ مضيئةٌ

وَخمْر .. وكَاسَات وَمِزْمارُ مُنْشد

فَيا مُنْجداً نَحْوَ الدَّنَايَا مُعَانقاَ

ظلاَلَ الخطَايا .. إننى غَيُر مُنْجِد

وَيَا مُطْفئاً مِصبُاحَ قَوْم تهَتَكْوا

مِنْ العِشْق .. إنِّى مُشْعل كُلَّ موَقدِ

فَلاَ تُطْفئوُا الأضواءَ بيْنَ جوَانحى

وَلاَ ترُعْشُوا ،، الكَأس المليئَة في يدى

وَإنْ ضَاعَ في الكوْنِ التُّرابِيِّ واخْتَفى

فناري .. وأغْفَى في الدَّجىَ كُلَّ فرقَد

فَفي النُّفْس مَا زَاَلَتْ مَرَايا مُضيئةٌ

تُضِيءُ طِريقى في الظّلاَم المُلَّبد!!

من قال قابيل انتهى؟

تتساقط الأوراق

يسقطْ بعضها بعضا

لتولد من جديد

وحملتُ قيثارى..

أجوب شوارعَ الدنيا

وأدخلُ في الموانئ من بعيد

وأخبئ الظلَّ المديد

فمدينتى الحمقاء تأكل لحمها الباقي

وتلبس من أجيج النارِ أردية

وترقصُ في العراء

وأنا على باب الدخول

بلا دخول أو ردود

ضيعتُ أمس بطاقتى ونسيت

أوراق الثبوت

وبحثت عن ذاتى أمامَ جمارك الأحزان

حاصرنى الجنود

وغدت تفر مدينةُ الموتى

وتدور في كلُّ المنافى دونما ماء وزاد

تقتاتُ من ثمر القتاد

من قال قابيل انتهى

يا اخوتى قابيلُ عاد

***

قم من سراديب الدُّجَى

فالفجر عصفورٌ ينقُرُ بابك الحجرى

يغسل نوره الجدران إن الحوت مات

فافتح نوافذَك العتيقة

فالهواء الراكد الأثرى

والموتى ورائحة الحنوط

وغبار أزمنة الكهوف عظام حيطان المحيط

الحوت مات

يا نيلُ .. يا شاعر الأنهار !!

الدمعُ في مقلتيك اليوم قد جمدا

وأنت تبكي .. ولكن تحسن الجلدا

فقد عهدتك مجبولاً على شممٍ

وما لمحتك في البأساء مرتعدا

يا نيلُ يا شاعر الأنهار أيَّ رؤى

في جانحيك .. ولم تفصح بها أبدا

أردت أن تذرف الدموع أسىً

لكنما الدمع من عينيك قد شردا

أأنت مثلي حزينٌ حائر قلقُ

طول الليالي .. تعاني السهد والكمدا

عرفتني ..؟ أم ترى أذكرتني فأنا

ذاك الصبيُّ الذي في موجك إبتردا

قف لحظة قبلما يمضى السفينُ بنا

نحو البعيدِ .. فننسى الأهل والولدا

عد بي إلى النهر .. عد بي بعض ثانية

قبل الرحيل .. فإن العمر قد نفدا

لأتبع الجرز الخضراء متنقلاً

بين البساتين لا أحصى لها عددا

حتى أشاهد أرتالاً منوعة

من (الوزازين) تزجى الموكب الغردا

عرفتنى؟ أم ترى أنكرتنى فأنا

ذاك الصبي الذي في موجك إبتردا

كم عانق النخل واللالوب مفترعاً

أغصانه يجمع (الدقيق) مجتهدا

وقد يباغته الثعبان منسكبا

على السبائط يحكى الموج مضطردا

وأحضنُ الأرض مذعوراً ومقتفياً

خطو الرياح .. إلى الصحراء مبتعدا

كم جئتُ للنهر مشتاقاً أسماره

وللأصائل .. أشتاق للرؤى غردا

وللسواقي التى انهلّت مدامعها

على الزروع .. فماج الزرع واتلدا

أطفأتُ فيك حراراتى وقد لبستُ

شمسُ النهار قميص النار متقدا

سلمت يا نيل من همٍ ومن حزنٍ

سلمت طول الليالي ساهراً أبداً

أعطيت . أعطيت لم تبخل فمنذ مدى

تلك العصور الخوالى لم تخن أحدا

أبوابك الخضر في الأيام ما وُصدتُ

وما رددت عن القُصَّائد قطُّ يدا

مازلت تجرى .. وتجرى غير متئدٍ

تسقى بلاداً وتعطى الخصب والرغدا

والموج عبر الليالي شاعر ثملُ

يحكى أساطيره للناسِ محتشدا

أين الليالى التى كانت مجالسنا

على الضفاف نصيد الحرث لا البردى

ونتقى ملك الاسماك مكترثاً

ونرجع (الصير) كى ينمو وكى يلدا

وأنت تلبسُ أثواباً ملونةً

وتارةً ترتدي أزياءك الجددا

وللعصافير في الآفاق دندنةً

تداعب القمر الجذلان إن صعدا

كم ذا كتبتُ على الأشجار أغنيتى

ورحتُ أرسم حباً بعد ما ولدا

ومنزل الطين أبنيه .. وأنقشه

وقد أقيمً على حيطانه العمدا

أما تزال تصاويرى (وخربشتى)

على الجريد نديات الرؤى جُددا

أقمتُ في خلدى أنغام ساقيةٍ

تبكى وشادية تشدو وبيت ندى

وما نسيت عهودا .. ما نسيت ولا

محا لزمان .. سطوراً .. كُنَّ لى مددا

إن أبلح النخل وأصفرَّت سبائطه

يوم الحصاد ملأتُ الشاطئين ددا

فكيف أصبحت مطوياً على حزنٍ

وكيف صرت على الأشواك متسيدا

خبئ دموعك عنى .. إننى بشرُ

أذوب حزناً .. إذا ما شمت مضطهدا

أين الأحباء .. والسمار اين همو

إني أنادى ولكن ما سمعت صدى

لتسقنى جرعة إنى على ظمأ

من لم يرد ماءك الدفاق ما وردا

واليوم تبصرنى شلواً تداوله

أيدى الرزايا .. كأنى لم أكن أحداً

أغوى الحوادث بى أنى أصانعها

.. وأننى لنعيم الصبرِ من حصدا

قد مزق الدهرُ منى كل آونِة

شيئاً .. فلم يبق إلا الروح .. لا الجسدا

لم يبقى منى سوى بعضٍ فيا كفنى

ماذا ستحمل منى .. إن رحلت غداً

أبناء تنسخ أنباء

أيامٌ ليست أياماً

ورمال تخفي الغاماً

وحياةٌ كالموت تماماً

لكن الدرب وإن غاما

لابد من السيرِ أماما

***

أيامَ تتبع أياما

أصبحنا فيها غرباء

لا نعرف عنها أشياء

أنباء تنسخ أنباء

فاللونُ الأزرق كالأخضر

واللون الأحمر كالأصفر

وغدونا نضحك آليا

ونروح ونغدو آليا

[illegible] أيضا آليا

والزمن جزاف

ينكسر في كف الخزاف

هل نحن على شط الأعراف

***

في كل صباح ومساء

يحملنا زبد الأنباء

لقرار من دون قرار

أسمعنا بعضنا ما قلنا

حتى قالته الأحداث

والزمن الساحر والناس

المراسى التى لا تنام

ما مقيمٌ أنا .. ولا أنتَ فيها

فيمَ؟ تُعْلي القبابَ أو تبتنيها

وهي بيتُ الظلالِ ينسلُّ منها

كلُّ حينٍ ظلٌّ فلا يلتقيها

قال أبني ..

وأزرع الخيرَ للناسِ جميعاً

وأترك الشرَّ فيها

قلت طُوبَى .. فيوم لا ظلَّ إلا

ظله تعبر الصراطَ وجيها

***

أطفئ النار بالمحبة في الأرض..

إتفقوا كيما تتفقوا

لنعيدَ الدار إلى الدار

لتعيد حديث السمار

يكون النيلُ هو النيل

انتظروا .. فالريحُ ستأتى

تتلصص من خلف البيتِ

لتصب النار على الزيتِ

وغراب البين

يتجول في سوق الإثنين

تثاؤب ..!!

لحاء الشَّجر

يُخبِّئُ عنِّي ضيَاءَ القَمرَ

وتَسْرِقُ عطرَ البنفسج أنْفُ الحَجر

ويَسْقُطُ منِّيَ المَمرّ

فأرْسُبُ في القّاعِ بْينَ ضلّوع النهَّرَ

ويَصْطدِمُ الشْيءُ .. بالشّيءِ

تنماع كُلّ التّفَاصيل

يُولَدُ قَابِيلُ فِينا

وهَابِيلُ في كُلّ يَوْمٍ يَمُوتْ

فتبكى البُيُوتْ

أُحَاذرُ إرْسَالَ ظِلىّ

أُلَملمهُ دَاخِلى

مَمْنْ لى ..؟

بوطنٍ بلا أيّ لونٍ .. وظلّ

[illegible] ل الذّاكره

ولقد نشرتُ في فضاء الظّلام

[illegible] أيامي الغابره

تأمّل زَمانَ التّثاؤب .. والجيف العابره

ممَنْ قصّ أجْنحة الظّلّ؟

منْ صَادَرَ اللّون في السوْسنه

فللموت رائحةٌ في السهُّول

وللنّمَلْ فَوْقَ الرُّبى "مقبره"

جَفّتْ حُقُولي زَمَان الربيع

وكَانَتْ حُقُولي مُخْضوضره

فَمنْ صَادرَ اللّيْلةَ المُقْمره؟

لحاءُ الشّجَرْ

يُخّبِئُ عَنّى ضِياءَ القَمَر

فيَسْقُطُ منّى المَرّ

ذكرى الاستقلال ١٩٦٨

لبَس الصَّفاف نَضَارةً وشَبَابَا

وَسَقَى الظّماءَ رَحيقهُ السكابا

وَطوَى جِدَارَ اللّيْل .. فَهْو خُرافَةٌ

ونَفْض سَامِرُهُ وآب .. إيَابَا

أرأيْتَ شَعْبِي في زهى نِيسَانِه؟

اسمعت ذَاكَ المَائِجَ الصَّخَّابَا

خَاضَ الحَيَاةَ كَرِيمةً لاَ يَثْنِي

عَنْ عَزْمِهِ .. مُتَمرداً غَلاَّبا

وَالنّيلُ إنْ جَدَّ الكفَاحُ تَجمعَّت

حَلَقَاتُهُ .. يَتَسوَّرُونَ الغَابَا !!

يَسْتقْبِلُونَ اللَّيْل قَبْل قُدومِهِ

للشَّاطِئِنِ ويُغْلقُونَ البَابَا

والنيلُ مَلاّحُ الزّمَانِ مُغامِرُ

عَبَرَ القُرونَ .. وَدَوَّبَ الأحْقَابَا

فَسَلُوه كَمْ مِنْ ظَالِمٍ أوذَى بِهِ

وَطَوَاهُ .. كَانَ عَلىَ الضّفافِ غُرَابَا

وسَلُوهُ؟ كَمْ مِنْ ذَائدٍ عَنْ حَوْضِهِ

حَيٌّ .. وَإِنْ سكَنَ التُّراب .. تُرَابَا

لاَ تَمْلأ الأكْوَاب مِنْ أموْاجِهِ

إِنْ خُنْتَهُ .. وَتَأمّل الأكْوابَا

لَيْسَتْ مِيَاهاً مَا شَرِبْتَ الصَّابَا

فَارْحَل فَلَيْسَ بِمَاجِدٍ مَنْ يَنْتمِي

لِلنِّيلِ وَهْوَ يُلوَّثُ الأعْتَابَا

أبْناؤُكَ الكُرمَاء مَا نَامُوا عَلَى

ضَيْم .. وَلا تَركُوا الضّفَافَ نِهَايَا

وَقَفُوا بِبَابِكَ دَيْدَبَاناً .. لَمْ يَنَمْ

فَلَعَلَّ في الأفقِ البَعيد عُقَابَا

وَلَعَلَّ نُوَّاياً حَمَلتَ إلى الذُّرَى

كانُوا النَّوَائب في الدُّنِ وَالنَّابَا

كَمْ بَاعَتوا الرِّيحَ اللّئِيمَة إنْ جَرَتْ

فَوْقَ الهِضَابِ .. أرَقِماً وَذِئَابَا!!

يا نيلُ .. لاَ كان الذّي يجْرى إلى

سِرْدابِه .. مُتخَلِّفاً .. هيَّابا!!

هُوَ طينَةً لَمْ تَسْقَهَا، وجبِلَّةً

أخْرَى .. حوَيْتَ خَيالَها مُرْتابَا!

أفريقيا لنا

انا لن احيد..

الا لستُ رعديدا يكبّل خطوه ثقل الحديد

لا .. لن أحيد

وهناك أسراب الضحايا الكادحون!

العائدون مع الظلام من المصانع والحقول

ملأوا الطريق..

وعيونهم مجروحُة الأغوار ذابلة البريق..

يتهامسون ..

وسياط جلاد تسوق خطاهمو .. ما تصنعون؟

ويجلجل الصوت الرهيب كأنه القدر اللعين

وتظل تفغر في الدجى المشئوم أفواه السجون

فيغمغون ..

نحن الشعوب الكادحون ..

***

أنا لن أحيد..

أنا لستُ رعديدا يكبّل خطوه ثقل الحديد

لا لن أحيد ..

وهناك قافلة تولول في متاهات السنين

وبلا دليل..

عمياء حائرة المصير!

تمشى الملايين الحفاةُ الجائعون مشردين

في السفح في دنيا المزايل .. والخرائب ينبشون

والهانئون المترفون .. يقهقهون ويضحكون

ويمزّقون الليل في الحانات في دينا الفتون

والجاز ملتهب يؤج حياله نهد وجيد

وموائد خضراء تطفح بالنبيذ، وبالورود

لهب من الشهوات يجتاح المعالم والسدود

هل يسمعون؟

صخب الرعود ..

صخب الملايين الجياع يشقُ اسماع الوجود

كالسيل مندفقا سيجرفهم فلا خمر وعود

لا يسمعون ..

في اللاشعور حياتهم فكأنهم صمم الصخور

أنا لن أحيد..

أنا لستُ رعديدا يكبّل خطوه ثقل الحديد

وغدا نعود ..!

للقرية الغناء، للكوخ الموشّح بالكروم

ونسير فوق جماجم الاسياد مرفوعي البنود

ونزغرد الجاراتُ والأطفال ترقص والصغار

وسنابل القمح المنور، في الحقول وفي الديار

والنخل والصفصاف والسيال زاهية الثمار

لا .. لن أحيد عن الكفاح

لا لن أحيد عن الكفاح

ستعود أفريقيا لنا

وتعود أنغام الصباح

١٩٥٢

بانوراما .. الأيام !

ميلى لغْيرى .. فقلْبى اليوْم .. ماملا
للْمُغْريات .. أفانيناً .. وأشْكالا
فَقَدْ أخذْتُ منْ الدُّنَيا .. وقَدْ أخَذتْ
منِىَ .. ولَمْ تُبْقِ لِى في الأرْضِ مثْقَالاَ
في ذمَّةِ الله .. أيَامِى التَّى سَلَفَتْ
لأيَّامَ ترْكَضُ فِى الشُطْآن أطْفَالاَ
أيَّامَ نَمْرَحُ في زَهْوِ الشَّبَابِ بلاَ
هَمَّ .. ونَبْنِى من اللاَّشَيْئِ آمَالاَ!
فَتَارَةً ترْسِلُ الأمْوَاجُ .. أغْنسةً
وَتَارَةً تُرْسِلُ الأمْوَاجَ موَّالاَ
كَمْ ذَا .. بَنَيْنَا مِنَ الصَّلْصَال مَنْزِلَنَا
وَكَمْ صَفَرْنَا .. سُقُوفُ المُنْتَدَى "نَالاَ"[1]

---

[1] النال شجر يفوح عطراً إذا نزلت عليه الأمطار.

وَلِلَبسَاتينِ أظْلاَلٌ .. مُغَمْغَمَةٌ

تُسِرُّ .. في أُذُنِ الودْيانِ أقْوَالاَ

وللْاساطير أسْرارٌ .. مُحجَبةٌ

تَموج .. في خاطِرِ الظَّلْماء أغوُالا

يُخيفُنا شَبَحُ في الغَاب .. مُختبئُ

وَلَيْس .. إلاَّ .. جَريدُ النَّخْلِ قَدْ مَالاَ

وَمَوْقدُ اللَّيْل يَقْظَانٌ .. مَرَاجلُهُ

تَئِنُّ .. فَوْقَ لهيب الجمرْ .. إعْوالاَ

.. نَروُحُ تَخْطفُ منْهَا كُلَّما نَضَجَتْ

وَتَارَةً .. نُشْعِلُ النسرانَ إشْعَالاَ

وَطَائِرُ اللَّيْل .. مَلاَّحُ .. عَلَى سَفَر

يَطْوِى .. بِلاَداً .. وأنْهاراً .. وأدْغَالاَ

يُلْقِى عَلَينا .. صَدَى لَحْنٍ .. وَيَعْبرنَا

لَمْحاً .. وَيَبْقى صَداهُ الحُلوَ مُنْثالاَ

مَاذَا تَقُول لُنا يا طَيْرُ فِي زَمَنٍ؟

مُرٌّ .. يُدِيفُ رَحيقَ السمَ قَتَّلاَ

قَد كُنُتَ تَأتِي .. زَمَانَ الخصْب مُنْتشياً

والآن ..!! مَا عُدْتَ درِويشُ .. نُحيِط بِهِ

وَشَعْرْ .. مُرْسَلُ في الرِّيح إرْسَالاَ

يقُولُ يا راحلاً منْها .. بلا عمل

فأيْن زادْك .. إنْ أزْمعْت ترْحالا

في ذمّة الله .. لَيْلاَتِي التي سَلَفتْ

كَانَتْ عَلَ النَّهرْ .. أفراحاَ .. وآمالاَ

كَمْ مِنْ قَبِيل تَغَّنى في سَوَاحالَهَا

ثُمَّ انْطَوىَ .. وَبساَطُ اللّهُو مَازَالاَ!

كَاَنَتْ تُغَنَّى ..! وَلَكِنْ مَالَهَا وَجَمَتْ

وَالنَّهْرُ .. مِنْ حَوْلِها يَنْسَابُ جرِيْالاَ

مَضَى الأحيَّاءُ فَانْبتَّتْ أوَاصِرُهُمْ

وَأصْبحَوُا .. في رمَالِ البيد أطْلالاَ!!

وَهَا أنَا الآن .. في أعْمَاق صَوْمَعتى

أبْنى .. وَأنْحَتُ .. للاحْزَان تمثُالاَ

وَتَسْرِدُ عُيُونِي .. وَجْهَ مئذَنتى

فأطْمَئنُّ .. لصَوْتِ الفَجْرِ قَدْ سَالاَ

وَمَا مَدَدْتُ يَدى .. للنَّيلِ عَاتبَةً

كَيْمَا يُنيلَ فمِى الظَّمْآنَ أوْ شَالاَ

وَمَا ألْفتُّ إلى .. ظلُ يُسَامرُنى

سامرْتُ ظلّى .. صَباحَاتِ وآصالا

هَذَا تُرابُكَ يَارَبِّ .. لَبثْتُ بِه

دَهْراً .. فألْبسَنِى .. في القاع أغْلالاَ

إنِّى سَأبْرَجُهُ يوْماً .. ويَبرْحُنى

حَتى عُودَ .. كَمَا قَدْ كُنْتُ صَلْصَالاَ

القصيدة المحاربة

مدينَتِي مفْتوحةً الأبوابِ للغُزاء

فَقد هَوَى مَلِيكها الصريُع وانتهتْ

مَواكبُ الشَّياء

كَلُ الطَوابِي في الثرى مجنْدلَه

تمْشي سَنايكُ الفَنَاء فوقها مُجلجِله

وأعيُّن السُلطانِ عَنْ غوائِل الزَمانِ

نَائمَة

عبَّتْ نبيدَ المهرجانِ فارتمتْ

علَى البسَاطِ .. خلفتْ مداخلَ الأبواب

منْ غيْر حُراسٍ ولا حُجَّابْ

وأكُلبُ الطريقِ سَاهمه

وشُعراءُ المدْحِ وآلهجاء .. والغَزَلْ

نَامُوا كَمَا السَّلطانُ نامَ

.. كُلُهَّم قد امْتَثَلْ

وفي زَمانِ المحْلِ والضياعِ

.. والشموس الغاربَه

غُنَبْتُ للجيَاعِ .. والمشردِّين

مَّا حبسْتُ في دَوَاخلى

قَصيدَتِى المحاربَه

وأعيْن السُّلطانِ في دمِي

تشمُّ .. نبْضَ أَحْرُفِى .. تُصيخُ لى

تُلحْنُ الكلاَم مثْلما تُرُيدُ أو تُحِبَ

وتنْتَقِى المنَافقين مِثْلُ حبَّاتِ العِنَب

وفي حظيرةِ الكلامِ حوُّمُوا

مِنْ حولِنا وعبدُّوا الجُسُورا

وبعْثرُوا البخُورا

وهَيأُوا الطقوسَ للمُبَايَعَه

وأغْلقُوا بَابَ الصَّياحِ خلفِ سُورِ الجَامعَةِ!!

وَسَاوَمُونَا

سَاوَموا ضَميرَنَا

لتمدَحُوا قدَاسةِ السُلطانِ

كيْمَا تَصْعَدُوا إلى السمَّاء السَّابِعَةِ

لتَخْسَاوا ..

تُرَابُنَا أحبُّ مِنْ قُصُورِهم تُرابُنَا العزيز

بصقَتْ حينَما لحتُهُمْ

وجُوههمْ نَدَى

وشَعُرهُمُ مُموّجُ الحَرير

في العَربَاتِ الفَارهاتِ

يَرشَحُونَ دلكةً صندلا

أشْهَى من القصورِ العالياتِ الرائعه

"راكُوبَة" مُخلعَة

أحْلى مِن المبرِدات .. مَاءُ قرْية

بَيْن الغُصُون ناقعَه!!

ورقُدةً عَلى الرّمَال تحْت خيْمة القَمر

ألذّ مِنْ مَراوحِ زُيوتُها .. دَمُ اليَشَر!!!

وَأدْمعُ المشردينَ

وَالمضيَعينَ .. في مجاهلِ القدرْ

كانُوا مَع الجياعِ في مَسيرِة الصّراعِ

مَابَالهمْ .. تراجعُوا

وَصفّقُوا للمقْصلات حينما تجزُ

رأسَ جائعٍ .. وَجَائعه

الموت للقَراصنَة

الموْتَ للهياكل المهَادنَه

تَقَيّاتْ عُيونَيَ الذّهَبْ

فإنّهُ دمُ الجياع .. والجُلودُ .. والعَصَبْ

طَعامُ طفْلةٍ بكَتْ وقدْ عفَتْ من التعَّبْ

والموتُ في ليْل "المويُلِح" المرِيضِ

يَنْسَكبْ

لأنَّني مُحَارِب قَدسم

غنُيّتُ يا أحبتِى الحقيقه

كَانَ المذُيعُ شَامِخاً مثُل مسلات الزّمانِ

هَامَةً تُصافحُ السُمَاء أعيُنَا مُحازفَة

بفَتْحُ كُوَّةَ الصباحِ

.. للعيُونِ الخَائفَه

فهَذى قَصيدةُ الهجاء ثَانيه

وثالثَة

ورَابعَة

الى .. إلى أن يُقلّع السَّفَاحُ

عنْ ضِفَافنَا المَناكفَه

ويخْتَفى زمانُهُ القَبيحُ

وَيضْحكُ النْهار في طريقنًا الفَسيح

لأننّى مُحَارِبُ قديم

لَمْ أَلّقِ عَنْ كتْفَىّ بِزّةَ المُحارَبِ القديم

أنَازِلُ الخُرَافَةَ .. العَناكَبَ

الكهُوف ..

كُلَّ سَادِنِ وسادِنَة

وَخَائِنَ .. وَخَائِنَة

لِذاكَ يا أحبتَى

حَمَلت إلياذَاتِى الرَّشَاقْ

رَغْم عيونُ الأمْنِ

.. والَبنَادقِ القبَاحَ .. والمقَاصلِ الفرِاَق

وقْلتُ في الطّريقِ للرفاق

الدَّيْرُ في صَدْرِ الجبَالِ مَامَنَه

لنُشعِلِ المصْباحَ زَيْتُنا شَحيح

لتقْرأوُا السُّطورَ .. أسْرعُوا

سمعتُ خُطواتِ الريحِ

قَدْ تَقَوَّتْ عَلَى الدَرَجْ

جُدرانُ ديْرِنَا القديم تَخْتَلج

فَهذِه القصيدةُ المُحاربَة

لابُدّ أن تقْرأهَا "الفُرقَانُ"

والدساكُر البَعيده

والُمِتونُ فى مضارِب الخيامِ

والشَبيبةُ الجَديدَة

كأنها جريدةُ الصبّاحِ

وحينَما تعانقت جموعُنَّا

تقابَلتْ عيونُنَا مشجَّعة

وقلتُ يا رفاق

بعْدَ غدٍ ميعادنَا

وحينما تعانقَتْ عيونُنا مودعَّة

هتفْتُ يا رفاقُ يا رفاقْ

عليْكمُو السَّلامُ

يا أحّبتِي عليْكُمُ السْلام

عليْكُم السْلام يا أحبة السلامِ

عليْكم السَّلام

النّهرُ مَاتْ

عَلَى المَرَاسى .. وقُوفُ نَحْنُ أَنْضَاءُ

تَرنُو .. وَلا شَيءَ .. إلا الأفقُ وَالماءُ

نُصْغِي .. ولا هَمْسَ .. إلا خَفْقِ هَيْنمةٍ

.. مِنْ الصَّدَى .. وَمَوانِى اللَّيْلِ خَرْسَاءُ

أيْنَ الأحبَّاء .. مَا غَنَّتْ بَيارِقُهِمْ

وَلا شَدَتْ في فجاحِ المَوْجِ غَنّاءُ

مَا تُضْمِرُ الأكمَاتُ السُّودُ أىّ رُؤىً؟

في جَانِبَيْهَا .. فَعيْنُ القَلبِ رَمْدَاء

مَا للنَّوارِسِ لَمْ تَمْرِحْ كَعَادَتِها

عَلَى الأوَاذِى ... وللأموَاجِ ضَوْضَاءُ

يَا بَحْرُ مَالَكَ قَدْ أطرقْتَ مُكْتَئِباً

أنْصِحْ .. أَخَلفَ ضُلوعِ الماءِ أنْبَاءُ؟!

يَا مَلهِمَ الروُّحِ أينَ الظَّلُّ وَالمَاءُ

جَفَّ النَّدَىُ .. فَلا عُودَ وَلا نَاءُ

قَدْ جِئتُكَ اليَوْمَ مَحْزوناً وَمُحتقِباً

هَمَّى .. فَهَلْ فِيكِ للظَّامِينَ إروْاَءُ

بَانَتْ ضُلُوعُكَ .. مَا هَذَى الصُّخورُ ومَا

تلكَ التَّجاعِيدُ .. وَالمَرسَاةُ غَبْرَاءُ

مَنْ شَرَّدَ البَحْرَ وَالأَمْوَاجَ فانْكَفأتْ

عَلَى الضَّفَافِ .. شُجَيْرَاتُ .. وَأفْيَاءُ

"حرازة" النَّهرِ .. مَا ألقَتْ ضَفَائِرَهَا

سَنَابلاً .. فَهِيَ فِي الشُّطآنِ عَجْفَاءُ

تَضُمُّهَا صَبَواتُ النَّهرِ عَارِمَةٌ

لَكنَّهَا تَتأَبَّى .. وَهْيَ عَذْرَاءُ !!

تُخْفِي مَفَاتِنَهَا فِي الصَّيْفِ خَازِنَةً

مَاءَ الحَيَاة .. وكُلُّ الأرْضِ خَضْرَاءُ

وَإنْ أتَى الصَّيفَ غَنَّتْ وهْى ضَاحِكَةً

والأرْضُ مِنْ حَوْلِهَا .. جرْدَاء ..جرداءُ

فأيْنَ أغْراسُهَا وَالنَّهْرُ مُنْكَمِشُ

مِنْ حَوْلِهَا .. وَمَجَالِى الكَوْنِ صَحْرَاءُ

مَا للعَصَافيرِ قَدْ كَفّت مَعَازِفُهَا

عِندَ الأصَائلِ .. فَالاَصَالُ بَكْمَاءُ

وَلَمْ تَعُدْ تَجْدِلُ الأعْشَاشَ مُقْبِلَةً

عَلَى الخَرِيفِ .. وَللأنْواءِ إرْغَاء

غَسَلتُ في النَهْرِ أحْزَانى .. فَمَا أغْتَسلتْ

وعُدْتُ أؤملُ نَفْسِى .. وَهْى شَلاَّء

وَأطرَقَ المَوْجُ حَتَّى لا هَديرَ لَهُ

وكَانَ للمَوْجِ قَبْلَ اليَوْمِ ضَوْضَاءُ

ولِلخضَمِّ مَوَاويلُ تُسَامِرُهَا

جَفَّتْ بِدَاداً .. فَلا الدَّأمَاءُ .. دَأمَاءُ

تَسَربُتْ في حَنَايَا اللَّيلِ وارتْعَشَتْ

أحْزَانُ قلبِى .. وَريحُ اللَّيل هَو}جَاءُ

تَدَافَعُ الموْتُ في قلب الحَيَاةِ فمَا

للِفَجْرِ نُورٌ .. ومَا للشَّمْسِ أضْواءُ

وكانَ لى فيك .. لِى دَارَ أفيِىءُ بِهَا

مِنَ العَوَاطِفِ .. وَالقَمْرَاء قَمْرَاءُ

وَنَحْنُ للِحُسْنِ عُشَّاقٌ تَمُوجُ بِنَا

عَوَاطِفٌ .. بابليَّاتٌ .. وَهْوَاءُ

ولِى رِفَاقُ كَأن الله صَوَرَّهُمْ

مِنْ الوَصَاءات .. سُمَّارْ ألِبَّاءُ

قَدْ بَعْثَرَتَهُم بَدُ الأيَّامِ فانْفرَطوا

عِقْداَ .. وَبَاتُوا .. وَهُمُ فِى الريح أشْلاءُ

أأنْتَ أنْتَ أبو الأنْهَارِ .. أى رُؤَىً؟

شَاهَتْ .. فللقُبْحِ فى شَطيْكَ مِينَاءُ

فأيْنَ عَفْويَّةُ الدُّنْيا وَبَهْجَتُها

وَيَوْمُنا .. كُلَ يَوْمٍ فيه لإغْراءُ !!

درِوويشَةً .. كَانَت الدُّنْيا وَنَحْنُ لَهَا

مُنَادمُونَ .. حَوَاريُّونَ .. قُرَّاءُ

تَجْرِى بِنَا حَيْثُمَا تَجْرِى فَنَتْبَعُهَا

تَحْلاً .. لَنَا عَسَلُ الأَيَّامِ معْطاءُ

المُقْبِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا .. وإن عَبَستْ

فَفِى نُفُوسِهِمُ .. للفَنِّ أَصْدَاءُ

وَالظَّامِئونَ بِلا رِىًّ وإنْ شَرِبُوا

مَاءَ المُحِيط .. فَفِى الأَحْشَاءِ رَمْضَاءُ

مَا عَادَ للحُسْنِ نَبْضُ لا .. وَلا ضَحِكتْ

فِى النَفْسِ مِنْ وَمَضَاتِ الحُسْنِ أَضْوَاءُ

أَذَلكَ النَيلُ؟ مَا هذَا الشحُوبُ وَمَا

تِلكَ التجاعِيدُ .. والمرساةُ غَبْرَاءُ

أنْكرتُه وَهْوَ مسْلول تُزَايلهُ

نَضَارَةٌ .. وَصَبَابَاتُ ..وَإغْرَاءُ

وَغَابَ يَمٌّ .. وَشُطآنٌ .. وَنْديةٌ

عَلَى المرَاسِى .. كَانَ اليَمَّ صَحْرَاءُ

يَا نَهْرِ لِى فيكِ أَحْبابٌ طوَيْتَهُمُو

فَأَيْنَ يَا نَهْرُ فِى الشّطِّ الأحبَّاءُ

أفَرقْتَهُم أبَاديداً .. يَداً زَمَنِ

جَهْمٍ ..وَأيَامُ مَحْلِ .. فَهْى سَوْدَاءُ

طَالَتْ عَلَى الْربوات الخُضر وقْفَتُنَا

ومَا سَرَتْ مِنْ فِجاجِ اليَمَّ أنْبَاءُ

كَمْ أرْهفُ السّمْعَ للشطآن عَلّ بِهَا

صَدَى حَديثٍ قديمٍ .. وَهِى صَمّاءُ

مَنْ هَشّمَ الفَجْرَ والأضْواء فانكسرَتْ

تلك المَرايَا .. فلا الأضواءُ أضْوَاءُ؟

فَأجْهَدَتْ نَفْسَهَا فى اليمَّ وارتْطمَتْ

عَلَى الصخورِ مِنْ الأمْواجِ .. عَذْرَاءُ

قَالتْ .. وفِى مُقلَلتيْهَا أدْمعً يَبسَتْ

النَهْرُ مَاتَ ..!! فَلاَ ظِلٌ وَلاَ مَاءُ

مـولد الأشياء

وما زال مغنيهم

يوزع تحت جنح الليل موالا

يوشى القبح رساما

يهندس كل آونة من اللوحة أشكالا

يلوك كلامه العشبي

يرقص .. يملأ الساحة

بصندل جوه الليلي ..

يوقد شمعة الميلاد

يطلق من مجامره سحابات عبيرية

وحين يطل منه الطفل .. يكسر كل آنية

زهرية

ويمضغ قات افكار ..

ويرمقنا بأغينه الرماديه

بفصلنا من المخمل اسنارا

وقفازا الايديه

ومطفاة لغليون لياليه الشتائيه

ويطرحنا غداة مزاده العارى ..

دمى في السوق لا تجنح .. حين يصب حام

الشمس

نيرانا مداريه

ويعصرنا زيوتا ذات الوان نبيذيه

يزخرف واجهات الليل

حين يجمل البوابة الكبرى

باقواس من الفيروز .. واللؤلؤ (مرويه)

ويثقب جلدنا .. منقار نظرته العدائيه

فترقص مثلما نهوى .. عوالمه الخرافيه

تحركنا الطواحين الهوائيه

فيضحك ملء شدقيه ..

ويملأ مسمع الوادي برنات نحاسيه

فنحن نقوش حائطه

زخارف بهوة الراقي

.. واللوحة خلفيه ..

ومن يمتلك الساحات يغدو سيد الأشياء

وحين تبدل الازياء .. قريتنا البدائيه

ويخفى وجهها المكياج .. من من خلف

المساحيق الحضاريه

وترفل في العباءات الحريريه

تعود الريح ساخرة

تصادر زحمة الألوان بالسحب الغباريه

تعيد خرائب الماضى

تعيد ولادة الأيام تنسج كل

ماساة ومرساها

لتلقى الذات ساحلها

مستلقى .. تمد شراع ذكراها

شاهد مولد الأشياء ..

تلقى بعضها للريح

تبقي بعضها .. زاداً لأيام سنحياها

تذوق المر .. من صبارها المعروق ..

.. تذوى .. تحت حماهافما زال مغنيهم

يوزع تحت جنح الليل موالا

بوشى القبح ساما

يهندس كل آونة من اللوحة أشكالا

من ليالى الرعب بالإسكندرية

ذكريّات الحربّ

وجاء المساء ...

ضرير الغيوم كلون الخطيئة

تموت به النسمات البريئة

وملء المدينة ..

تثاقل خطو الحياة الحزينة

سكون رهيب .. ولامن هدوء .. ولامن سكينة

وأمى الحبيبة

تلفت مذعورة .. مستريبة

تسوق التعاويذ حيرى كئيبة

وتتلو لنا صلوات .. رطيبة

إذا حلقت فوقنا طائرة

ترش اللهيب على القاهرة !!

***

وفي حينا .. حينا الواجم

رأيت البيوت ..

تداخل في بعضها جازعات

وطفلا يموت على القارعة

وأمًّا .. تقبله .. جازعة

وتعول .. تعول .. ملء الظلام

وبين الزحام ..

تشق الصفوف وراً .. أمام

هنالك في حينا الواجم ..

وتصطك تحت رشاش اللهيب نوافذ منزلنا الجازعة

كأسنان مقرورة جائعة

وتفتحها مروحات الرعود وتخدش ضلفاتها الوادعة

وتمضى تبعثر كل الأثاث

وتنقض فيه غبار الدخان

وزوبعة الرهج الأصفر

ودمدمة المارد الأكبر ..

وحتى النجوم ...

تحدق راعشة في سهوم ..

وتترق السمع للكائنات ..

وتنظر في الأرض ما يصنعون

وما يضمرون ..

وراء الصدور .. وخلف الطوايا

بوادى الخطايا

فتبصرها قافلات الدخان

فتسرع مجنونة لا تفيق ..

تلم أشعتها الهاربات وراء الدخان

كلص كمين ..

فتبكى النجوم ..

وتطرق .. تطرق خلف الغيوم ..

كأم رءوم ..

وقد سبق للحرب أبناؤها ..

***

وفي ليلة حين آن العشاء

وقط يموء لدى المائدة

ويرهف أذنيه للآكلين

وللشاربين

وللسامرين

ويهتز في نشوة الظافرين

وإذ بالوجود على حين غرّة

يمور دخاناً وينفث شره

وإذْ بنواقيسه الراعبات

تحجر حتى .. نمو النبات

ويختنق الليل حتى إخال جنائز هندية تحترق

وراء الأفق

وتذرو دخان العظام رياح الغسق

خطى المسرعين إلى المخبئ

إلى مخبأ في حنايا التراب .. ضرير الحنايا

يضم بأحشائه المظلمات قطيع البرايا

تحوم عليها طيور المنايا

كيوم الخراب ..!

وفي المخبئ ..!

أجلت بطرفي فألفيت قطى الأليف معى

تمسح بي ضارعاً لا يعى ..

أخلف هذا الطعام الشهى .. وجاء معى

يموء فأسكته في جنون

وأخشى يفر الصدى للسماء

فتلفقه لاقطات الصدى من الطائرات

هنا ساعدات

هنا هابطات

ترش المنايا على الكائنات

وتذرو همو كبقايا رفات

وكنا نفر إلى الترعة

ونوغل في البوص .. في الظلة

وأصداء أرجلنا في الظلام تطن على الشارع الصامت

ويأتى الصباح

وفي كل بيت صدى مأتم

وفي كل عين بقايا نواح

ويمضى الصباح ..

كئيب الخطى عاثراً في البطاح

***

واسمع في الليل صوت انهيار

وأصداء طاحونة خلف سور الغبار

وصوت حصيد ..

ودنيا عبيد ..

تموت إذا الليل جن وتحيا إذا ما تهامس خطو النهار

ومد الجناح على كل دار

وأوما من شرفات الشروق كئيباً قبال نطفاء النهار

سنى ماسة غرقت في الظلام بعيداً .. هنالك في اللاقرار

وكأن النهار ..

مرايا مهشمة في القفار

ويحكى الصغار ..

وهم يبنون حصون الرمال بظل الجدار

عن الليل .. عن هوله والدمار

وجارتنا كيف أودت بها شظايا الغبار

وعن عم أحمد كيف اختفى .. غير تلك النثار

ملفعة بالدمار والغبار

وهول الحرائق عند المنار

وصوت البوارج مهتاجة مع الليل تعول ملء البحار

وكم صائد لم يعد من هناك ..

وراء البغاز ..!!

وفانوسه مطرق في الظلام

كعين مؤرقة لا تنام

يغالبه الموج حيناً .. وحيناً .. يطير على الموج بأحداقه

ولكنه لم يعد من هناك

لقد مات .. لا لم يعد من هناك

وراء البغاز احتواه الهلاك !

***

وتَمشى الجنائز مثل النمال .. عديدا .. عديدا

تضيق بها طرقات المدينة

مفزعة كيمام الحدائق ريعت لأصداء صوت النبال

تُرش على السور مثل الرمال

***

وما زلت أسمع أن هنالك أشباح حرب

تلوح بوادرها الكالحات على كل درب

ومثل الصقور ..

ستهوى القذائف مثل الصقور ..

تناوش بعضا وتشرب فيض دماء البشر

كأن الدماء رحيق الدنان وتلك الحروب ملاهي نَسَر

ليجنى الطغاه ..

ثمار الحياه ..

ونحيا هنا في دورب الظلام .. هنالك في قاعه المظلم

كمثل الطحالب ألقى بها العباب على الشاطئ الواجم

ولكن رويدك ياذا الجلال

رويدك يا أيها الطاغية

أتفخر بالقوه الهائلة؟

أتفخر بالقوه القاتلة

أتفخر بالرجُم الهاويات

تبيد الملايين في ثانيه

حفرت بكفيك هذى الحفار

لتقبع في ظلمة الهاوية

فجمع حشودك لا .. لن نحيد

سينقشع الليل .. ليل العبيد

وينهار سورك سور الحديد

١٩٥٥

فافويا ملكة الغابات ..!!

سيِّدتي

جِئْتُك في

في الزَّمن المرْصُودْ

حَمَلْتُ كُنُوزَ الأرْضِ

سِلاُلِي .. مَلأى بالأنْجِمُ

مُتْخَمَةْ بالتُّحف جُيُوبِي

موقره سُفُنِي ..

بِالْمِسْكِ .. وَسِنِّ الفِيلْ

لَكِنْ .. في الشَّاطِئِ كَانَ القِنْديلْ

يَتَدَلَّى .. كَالَّرأسِ المَفْصُولْ!!

***

وَطَرقْتُ البَابَ

الحَارِسُ لَمْ يَفْتَحْ

وَكلاَبكِ .. لَمْ تَنْبَحْ

مِنْ ثُقْبِ البَابِ نَظرْتُ ..

لمحتُ "خُوانا" ترك النَّمْلُ أوانيه

وقدور "المحُلب"[١] مُمتلئه

وبقايا عطْر مُنكفئهْ

وقَناديلُ

في سَقْفِ الحُجْرة مُنْطَفئهْ

"والكُجْرةُ"[٢] سَاهمَةُ العَيْنَيْن

***

نَبَّهنِي .. قِصَرُ الظّلّ

بِأنّي أبْحِرُ في الزّمن الضَّائعْ

فَالسَّاعَةُ في وَسَطِ الحَائِطْ

لاَ تَحْكِي .. إلاَّ زَمَناً .. مَاتْ

---

[١] المحلب، عطر سوداني.

[٢] "الكجرة" ستارة بيت العرس القديم تشبه الناموسية أصبحت الآن تراثاً فلكلورياً.

أيقَظَنِي .. لَونُ الأشْيَاء ..

وَسُكُونُ السّاحَاتِ الَخرْسَاء

سَيِّدَتِي

سَيِّدَتِي .. مَاتَتْ؟

مَاتَتْ .. سَيِّدَتِي .. مَاتَتْ

إيَقاعٌ فِي العَتْمة صَامتْ

سَيِّدَتِي .. مَاتَتْ؟

لَكِنَّ حَدِيقَتَها مَا زَالَتْ خَضْراء

أنْفَاسُ .. "المَحلَب" والحِنَّاء

تَتفَاوَحَ .. فِي كُلّ الأرْجَاء

"وَوَزَازِينُ"[1] تَتَراقَصُ .. فِي صَدْرِ الأمْوَاج

وَعَلَى .. وَعَلَى .. وجْهِ "خُوَانٍ"

قَارُورَتُهَا ..

وَتَمِيمَتُهَا ..

---

[1] الوزازين جمع "وزينة" بكسر الواو وهو يشبه طيور البجع.

وَأسَاوِرَهَا تَرْشَحَ ضَوْءاَ

وَلإنَاءُ الكُحْلِ الهِنْدىِّ ..

وَعَلَى المشْجَب .. تَنُورَتَهَا ..

وَالعِقْدُ الذَهَبِيُّ اللاَّمعْ

سَيِّدَتِى .. مَاتَتْ؟ سَيِّدَتِى

صَمْتُ قَاتِلْ

فشيجُ مكْتُومٌ يسْرِى

يتحدَّرُ منْ قلْب السَاَحلْ

لَمْ يَبْق سوى حُزْمة ..ضوْءِ

مِنْ قَمَر .. بَاكِ .. مَخْنُوقِ ..

شُرْفَةِ فْجر .. ضَاعَتْ

فِى ثَبَجِ الأُفْقِ المَحْرُوقِ

سَيِّدَتِى .. هَلْ تَدْرِى؟

كَمْ ذَا عَايَتْ ..

فَتَّشْتُ جُيُوبَ اللَّيْلِ

عَبَرْتُ بحارَ المَوْتْ ..

سَافَرْتُ إلى المَجْهُولِ

كَسَرْتُ جِرارَ الصَّمْتِ

جَمَعْتُ خُيُوطِ الفجرِ .. السائِل

من رحم الظلماء ..

غَسَلْتُ عُيُونَ العَتْمَةِ بالأضْوَاءِ ..

لَوَيْتُ جَدَائِلَ شَعْرِ الرِّيحِ

تَطَامَنَ لِي ظَهْرُ التَّيار

رَكْبتُ جِبال المَوْج

الرَّاكِضِ بِالْحيتَان

حَفِظْتْ دروب الماء

فتحت أذْرُعَها لِي .. رُغْمَ الأنواءِ

وَعُيونِ الحُوتِ السَّابح خَلْفَ دَمِ الأشْلاَء

وشَبَابِيكُ جليد كَانَتْ

تَتَنَامى .. تَعلُو فَوْقَ المَاءْ

تَحْجُبُ عَنَّى .. لَوْنَ الأشيَاءْ

كُنْتُ أُصَلَّى

فِى مِحْرَابِ ضُلْوعِى

فِى خلوة نَفْسِى

وأنَا تَحْتَ هَدِيرِ الأنْواء

أسْبَحُ فِى كُلِّ الأرْجَاءِ

زَادِى .. زَادِى .. بَعْضُ رَجَاءِ

وَأنَادِى .. ما .. بُحَّ ندائى

سَيِّدَتِى "فَافُويَا" .. فُويَا

وَالرِّيحُ .. تُقَرْقِعُ .. فَافُويَا

أصْدَاءْ .. تتْبعُ أصْداء

تتموَّجْ .. فِى الْيمَّ بُكاء

كانت ذاكرتى .. خالية

وَبَعيْنِىَّ تَلاَوِينُ الأشياء

فَأفُويا .. بَيْن مَقَاصرها

تَحيَا أَبَّهَةَ السُّلطَانَ ..

فِى جُزُر المَرجَانْ

***

سَيِّدَتِى

جِئْتُك فِى الزَّمَنِ المَرْصُود

مَا أخَّرِنَى حُوتُ البَحْر

وَلاَ الأمْوَاجُ الوِحَشيةٌ

وَجِبَالُ اللَّيْل الهَمَجِيَّة

وَعُيُونُ القُرْصَانِ المخْبوءِ ..

بِقَلْبِ الجُزْرِ المَنْسيَّة

سَيِّدَتِى

جِئْتُكِ .. بالْقنْدِيل

وَبَيْضِ الرُّخِّ

وَشَحْمِ الفِيلُ

كَمْ ذَا ناوئنى .. سَرَطَانُ المَاءْ

وَصَارَعَنِى فِى المَوْجِ الحوُتْ ..

وَمِنْ إبْطِيه تَفَلَّتُ

وَ يظِلّ الرُّخِّ تَدَثَّرْتُ

وَبِقَلْبِ اللَّيّل تَسَرَّبْتْ

لاَحَتْ ظُلَّه

فِى أرْضِ .. "الْقُولِ" .. المَنْسِيَّة

أبْصَرَنِى .. فَامْتدَّ دُخَانًا

وَتَسَلَّقتُ الجَبَلِ العَالِى

تَزْحمُ خَطْوِى .. سُودُ سَعَالِى

تَرَكَتْ لمَاَّ لَمَحَتْ

فى عَيْنِى تَنُّورَ النَّار

وَهَديرَ العَزْمِ الجَبَّار

جَمَّعْتُ شَتَاتِى أَسْأَلُها

عَنْ حَوتٍ أَسْوَدَ مَلْعُونِ

يَسْكُنُ فِى قَصْرِ التُمْسَاحِ

يَحْمِلُ جَوْهَرَةَ التِنين

تَبْعاً ثَرًّا .. مَنْ يَشْرَبُ مِنْه

مَيْتاً .. يَسْتَقيظ فِى الحِينِ

فَافُويَا سَيِّدَتِى مَاتَتْ؟

فَاعْتَدَلَتْ شَجَرَاتُ "الحلّة"

وَالظُلَةُ .. تُصْغِى .. للظلّه

سَيِّدَتِى فِى شَجرِ التَّلّه

سَتَعُودُ مَعَ الَغيمْ الغَرْبّى

تُبَارِكُ تَلْقيِح "الغَلّه"

اَلاَنَ أحدِّقُ فِى الأشياء

أراجعُ خَارَطِةَ الأَلْوَان

أمُدُّ عُيونِى خَلْفَ القَاع

أسَافِرُ فِى الزَّمِن للآتى

أعْرفُ أنَّ الوَقْتَ تُرَابْ

وَأنِى أرْكُضُ خَلْفَ سَرَابْ

لَمْ يبقى سَوِى خُطُّواتِ الرِّيح

لَمْ يَبْق سوى شجرات الشَيح

وَالظَل شحيحُ

لَمْ أسْمعْ صَوْت الأرْجُل فِى السَّاحات

لَمْ أبصِرْ وَجْهَ القمر الضَّاحك في الشُّرفاتْ

أيقظِنى لَونْ الأشْيَاء

كأنَ البحرُ ينامُ ويبحر في الأحْلاَم

يَقول .. يَقُول

فِى صَوْتِ "الأَرَغْول"

"فَافُويا" تسْكنُ قصْرَ الحُوتْ

حَيْرَى ..تتَأمَّل فِى المَلَكُوتْ

وتَفتِّشُ عَنْ بَابَ .. وتُخُوتْ

بَابِ .. يَتَسلَّقُ صَدْرَ المَاء

يَنْزلقُ الحُوت عليْه مَسَاء

بَاغتنِى حَارِسُ بَابِ البحرْ وقال:

يَأتِى الغَائبُ ذَات صَباح

شجَّهنِى هَذَا "الفالْ" فواصَلتُ الترْحَال

أوْقَفَنِى الحَارسُ: لاَ تبرحُ شُطآنَ النَّهر

"فَافُويا" في سُمك الماء

نُخرجُ في زمن القمْراء

لاَزَمْتُ البحرْ طويلا

لَمْ يُخْرجْ سمكاً .. إلاَ عُشْب الماء

لَمْلَمتُ شبَاكى

صَوْتُ مِنْ جُبِّ الظُّلْمة نادانى

لا تبرح مُتَّكأ الصَّخْرِ

إضْحَكْ للشّطِّ .. أمْلأ غَلْنُونك

حَدِّقْ فِى اَلْموجِ القَادمِ لاَ تياسْ

لاَ ييأسُ مِنْ روْح البارى غَيْرُ الكُفَّار

شَجَرُ "اللاَّلُوب" استَيْقظَ من نَوْمه

وَشَخيرُ الَمْوج العَالى .. رَاح

وَاسْتَاك البَحْرُ .. بماء البَحْر

فَأنعشَهُ .. الاصْباحْ

وَالدّنْيا مَازَالتْ حُبْلَى

لاَ تَتْرُكَ دفّنكَ الأوُلى للإبْحار

هِذى الأرْضُ الطَّيبةُ المعطاء

اجْملْ مَنْهَا شَيْئاً في "طرف" المِنْديلْ

فَالدَّرْبُ .. طَويلْ

***

تَتدحْرَجُ أزْمنَة .. تَتساقَط مثْل الرَّمْل

وَتنْسىَ الذَّاكِرَةُ جَيادَ الوَقْت

يَخْرُجُ مِنْ قَاع البَحْرِ التُّمْسَاح

يَتْرُكُ للْجاَمَوس حِراسَة بَابِ النَّهرِ

نَامَ الجَامُوسُ .. وَخلَّى الأَبْواب

انْظُر .. "فَافُويَا" في مِرآَةِ المَاء

تُعيدُ لَنَا .. لَوْنَ الأَشْياء

خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ التنين

لِتَمُدَّ يِميناً لِيمِينِى

فَدفَتْتُ جميع الأنبياء

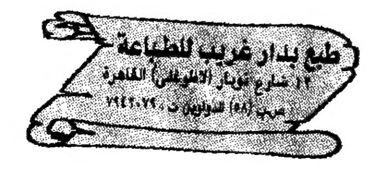
وَمَمرَّاتُ الَمْرَر كاَنَتْ

تَتَضَاحُكُ بَيْنَ الأَضْوَاءِ

الفهرس




دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان


طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت ٧٩٤٢٠٧٩



لا للإحتكـار
الكتب السودانيـة
زورنا هنا
www.mortada.org
www.mortada.org
www.mortada.org



محى الدين فارس السودان

ولد عام 1936 فى جزيرة أرقو - الأقليم الشمالى

أتم دراسته الأبتدائية والمتوسطة والثانوية بمدينة الأسكندرية ، والجامعية

بمدينة القاهرة ونال الدكتوراة الفخرية من جامعة أم درمان الاسلامية

عمل محاضرا بكلية بخت الرضا ، ومفتشا فنيا فى تعليم ودمدنى وهو الآن متفرغ لانتاجه الأدبى .

عمل فى القاهرة فى مجلة العالم العربى

غطى منذ الخمسينات مساحة كبيرة فى الساحة الشعرية ،

ونشر شعره منذ وقت مبكر فى الصحف والمجلات الاتية ،

الرسالة ، والثقافة ، والرسالة "بيروت" ، والعربى "الكويت" ، والوحدة "المغرب"

والحرس الوطني "السعودية" ، والمنتدى "دبي" والدوحة "قطر" وغيرها .

شارك في العديد من المهرجانات المحلية والعربية .

دواوينه الشعرية : الطين والأظافر 1965 ، نقوش على وجه المفازة ، صهيل النهر

قصائد من الخمسينات .

مؤلفاته : شعراء الجيل ، إلى جانب مذكراته التي ينشرها حاليا فى مجلة المنتدى "دبي"

نال جائزة البابطين للإبداع الشعرى عام 2004 .



الغلاف : عصام عبد الحفيظ